فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر ٣٠ المحرم ١٣٣١هـ ق ١٩ الشتاء الاول ١٢٩١هـ ش ٨ يناير ١٩١٣م ﴾

فاتحة السنة السادسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فقد جرت عادتنا ان نشير في فواتح سني المنار ، الى شيء من تاريخه أو تاريخ الإصلاح ، أو حال دعوته في عالم الاسلام ، ونقول الآن على رأس السنة السادسة عشرة ان صوت الاصلاح الديني قد علا كل صوت في الاقطار الاسلامية التي بلغتها دعوته ، وهزتها صيحته ، فخفتت دونه أصوات الحشوية الجامدين ، والدجاجلة الخرفين ، وقد خذل الله ببيروت في العام الماضي أشدهم إفكا

مجرد التمتع . وأمثل طرق المنع الاشتراط في العقد على الأولى ان لا يتزوج عليها ، وهو شرط يبيحه بعض الفقهاء ويدل عليه الحديث الصحيح . وللحاكم المسلم ان يمنع المباح الذي تخشى مفسدته

﴿ سقوط مسقط ﴾ *

La chute de Mascate.

مسقط هي الثغر العربي البحري حاضرة بلاد عمان على حرف بحرها في عرض ٢١ درجة و ٢٧ دقيقة من الشمال وفي طول ٥٦ درجة و ١٥ دقيقة من الشرق. فيها نحو ٣٥ الف من السكان ومينائها حسن وكان قد حصنها سابقاً البرتغاليون: وتجارتها مع بمبي وخليج فارس نافقة ، والميناء الصغير الذي يجاورها واسمه « مطرح » يعد من مرافقها وكان قد فتحها البوكرك في سنة ١٥٠٧ فامتلكها البرتغاليون الى سنة ١٦٤٨ ثم خرجت من أيديهم وتقلبت عليها الاحوال حتى أصبحت هدفاً للنفوذ الانكليزي الى هذه الايام الاخيرة فجاءتنا الاخبار ان الانكليز احتلوها وغدت من أملاكهم . ولا بد من أن نعرض على القراء مجمل الانباء منذ أقرب عهد الينا أي منذ عهد السيد سعيد بن سلطان لتقوم في الفكر صورة الحقيقة منذ نشأتها الى هذا العهد . وقد استندنا في أغلب هذه الرواية على حضرة سليمان افندي الدخيل صاحب الرياض فنقول :

كان لمسقط في عهد السيد سعيد بن سلطان شأن يذكر أصبحت فيه حاضرة إمارة كبيرة على سيف الخليج الفارسي تمتد على الثغور البحرية المجاورة لها حتى جزيرة البحرين التي لم يتغلب عليها مع أنه حارب أهلها أشد المحاربة . ومن الثغور التي كانت تضاف الى الامارة المذكورة (لنجة) و(بندر عباس) وما يجاورها من البلاد الايرانية الواقعة على خليج فارس . لا بل امتدت أجنحة امارته الى ساحل شرقي افريقية مثل بلاد (لامو) و (منباسة) و (الانقزيجة) و (بندر السلام) و(هنزوان) و(الجزيرة الخضراء) و(زنجبار وغيرها)

وكان قد أقام له حاضرتين وهما (مسقط) للبلاد الواقعة في بحري عمان وفارس (وزنجبار) للاقطار الافريقية. وعقد معاهدة مع والي البصرة ومثلها مع دولة الهند ليحافظ على استقلاله وأمور دياره حتى ان فرنسة أقرت له بلقب سلطان العرب أو أمبراطورهم وقد نالت رعيته من الرفاهية ورغد العيش ما لم تنله تلك الاقطار في سابق الاعصار ، وكان له أسطول ذو حول وطول يمخر أبحر الهند وفارس وعمان .

* ﴿ منقولة بحروفها من مجلة لغة العرب البغدادية المفيدة

بقيت تلك الدولة في نمو وزهو الى أن توفي السيد سعيد فانقسمت دولته بين أبنائه قسمين : شطر عربي وشطر افريقي ، فكان الشطر الافريقي نصيب السيد ماجد ومن بعده السيد برغش ووقع الشطر العربي حصة للسيد ثويني الذي قتله ابنه السيد سالم ليستولي على سلطنته ، وما بدأ هذا الرجل بالقبض على زمام الامر الا واستعرت نيران الفتن واندلعت ألسنة اللهيب الى تلك الديار ولم تخمد الا بتغلب السيد تركي عليها وهو ابن السيد سعيد أخي السيد ثويني. وبقيت الامور تجري في مجراها الى عهد السيد فيصل بن تركي السلطان العربي الحالي ، فتقاسم الانكليز والالمانيون تلك البلاد في معاهدات سنة ١٨٩٠ وأفضت ثغور فارس والبحرين والكويت الى حماية الانكليز . وهكذا أخذت البلاد تخرج من أيدي أصحابها .

ولما اخترع الافرنج البواخر وسيروها على متان البحار وشحنوها آلات جهنمية وبقي العرب على حالتهم الاولى من اتخاذ السفن الشراعية أو ذوات المقاذيف ضعفت قواهم في المحاربة وتأخروا عن سائر الامم التي كانت تزداد قواها بازدياد عدد بواخرها وبوارجها ومدرعاتها فاضطر أمير مسقط أن يسايس الافرنج والانكليز خوفاً من أن تفلت بلاده من يديه قهرا وقسرا بدون أن يتمكن من معارضة المتغلبين الطامحة أبصارهم الى دياره . فاضطر الى منع النخاسة (بيع الرقيق) ثم الى منع بيع الاسلحة ثم الى غير هذه المطالب مما أوغر صدور العرب عليه ودفعهم الى الخروج عليه .

وأول من نفث في صدور الناس روح العصيان هو الشيخ عبد الله السالمي من (الشرقية) فانه دعاهم الى أن يبايعوه وقد كان بلده (ضبية) ومسكنه في بلد (القابل) الذي أميرها الشيخ عيسى بن صالح . وأول من بايعه هو هذا الشيخ وكانت المبايعة سرا. والغاية من هذا الخروج اقامة السيد فيصل { اماما شرعيا } على الاباضية في مسقط يكون نافذ القول والاحكام لا سلطانا ، ولهذا كتبا اليه كتاباً ليطلعاه على ما جال في فكرهما فأبي السيد فيصل قائلا انه « سلطان وامام معاً » وانه حر القول والفعل في مملكته يعمل مايشاء ويقول مايشاء .

فلما بلغ ذلك الخبر الى الشيخين امتعضا وانضم اليهما جم شايعوهما في أفكارهما ثم طلبوا جميعهم الى السيد فيصل أن يقطع دابر المومسات من مسقط وعمان وأن يمنع شرب المسكرات والدخان وتجول المبشرين في تلك البلاد الى غير هذه المطالب ، فأبى كل الاباء قائلا : ان الانسان خلق حرا ولا يحق لي أن أقيده بقيود

فلما رأوا انه رفض كل ماطلبوه منه اجتمع الشيخ عبد الله السالمي والشيخ عيسى

ابن صالح والشيخ عبد الله بن سعيد وعقدوا مجلسا خفيا في (سمائل) من بني الريحة (١) وقرروا أن يبعثوا الشيخ عبد الله بن سعيد الى جميع ديار عمان ليدعو أهلها الى النهوض مع الشيوخ المذكورين والى محاربة السيد فيصل لكونه أبى تلبية مطالبهم. فجرى الامر على ماقرروه وتمكنوا الصلح في قبائل عمان المختلفة وربطوا بعضها ببعض ليكونوا يداً واحدة على السيد السلطان. ثم سار الشيخ عبد الله بن سعيد الى (تنوف) (٢) بليدة قريبة من «نزوة» وواجه شيخها حمير الاماني الذي أمر للحال بجمع علماء الاباضية وذاكرهم في الامر فقر رأيهم على تعيين امام ومبايعته، فأقاموا عليهم الشيخ سالم بن راشد الخروصي (٣) ودخلوا «نزوة» سرا ودعوا سكانها الى المبايعة فبايعوا الامام وكان في مقدمتهم بنو ريام والكنود (٤)

فلما بلغ الخبر أمير نزوة وهو السيد سيف بن حمد من أبناء بني سعيد هجم عليهم بعسكره كبحاً لجماحهم. لكنهم أبلوا بلاء حسناً وقتلوا من بني سعيد خاصة أكثر من ٢٥ رجلا وجرحوا الوالي ثم بعد ذلك أخذت نزوة أو قل: سلمت نفسها بدون ممانعة لضعف أهلها وقوة محاربيهم، وللحال أخرجت العساكر من القلعة الحصينة (٥) واحتلها أتباع الامام

اما الوالي فانه لما رأى الحال على تلك الصورة لجأ الى أحد المساجد فطلبوا اليه ان يطاوع الامام والا يعامل معاملة الاسير، فاستمهلهم ساعة قبل الجواب فلما امهلوه أذعن.

قبض الامام على زمام الامر في نزوة ولما قرت فيها قدمه أرسل يقول لسكان بيت سليط (٦) اما الطاعة واما الحرب. فسالموه وأطاعوه. ثم سار وقد قسم جنده الى طائفتين وجه الطائفة الاولى الى (بركة الموز) (٧) والطائفة الاخرى الى الرستاق (٨) وما كادت تصل تلك الجنود الى تلك الديار الا وانقاد سكانها للهاجمين

---

(١) بنو الريحة قبيلة كثيرة العدد عتيدة العدد أصلها من ذبيان (٢) تنوف واقعة على سفح الجبل الاخضر المشهور بكثرة الاشجار وبما يتدفق عند حضيضه من الانهار وهو يبعد عن مسقط مسير خمسة أيام واما نزوة وتسمى اليوم نزوى فهي عاصمة بلاد عمان في سابق العهد وهي الى يومنا هذا مدينة كبيرة فيها ما يقرب من ٣٦٠ مسجداً كذا على رواية سليمان افندي الدخيل ولعل الاصح ٣٦ مسجداً بحذف الصفر وفيها جامع كتب عليه انه « حول مسجداً في سنة ٧٠ للهجرة » وكان في السابق كنيسة للنصارى (٣) هذا الامام تابع لقصة أئمة تقدموه وكلهم من قبيلة خروص القوية (٤) وهما قبيلتان مشهورتان في تلك المدينة (٥) هذه القلعة من القلاع المتينة القديمة قال عنها سليمان افندي الدخيل انها قوية البناء لا تؤثر فيها المدافع الجديدة (كذا) ولعله يريد بالمدافع الجديدة تلك التي يتخذها الصبيان من ... الكاغد ! « ٦ » بلد حصين منيع « ٧ » وهي بلدة كبيرة منيعة « ٨ » وهي من القواعد القديمة

بدون معارضة . ثم زحفوا على بلاد الحزم (١) فبايع أهله الامام . ثم زحفوا الى ولاية العوابي (٢) فلم يقاومهم فيها أحد . وفي تلك الاثناء كانت الطائفة الثانية من الجند قد زحفت من (بركة الموز) الى (ولاية نزكي) (٣) وقالوا لواليها : ان أنت وافقتنا على أمرنا اقتناك اماماً . فسلمهم القلعة بدون محاربة وللحال لفوا رأسه بعمامة وقالوا له : « كن مستعداً لان تكون خليفة (!!!) بعد امامنا هذا (!) » .

لما سمع السيد فيصل هذه الامور جيش جيشاً فيه « آلاف جندي وأمر عليه ابنه السيد نادر فلما وصل الى قرب موقع الامام الجديد في (سمائم) قلب له جيشه ظهر المجن فانحاز الى جيش الخصم ولم يبق معه الا فرقة من البلوص وأولاد بني سعيد وكلهم لايتجاوز عددهم التسعين . فلما رأى هذه الخيانة لجأ الى حصن سمائم فدخله ولبث فيه محصورا متنفعا بالمدافع التي كانت هناك دفعاً لهجمات عدوه الشديدة

اما قبائل ذلك الوطن فانها لم تنفعه فتيلا لانها كانها خانته وانحازت الى الامام الجديد الذي اشتد ساعده لما رأى من الفوز المبين ومع ماوفق له من انضمام القوم اليه لم يستفد من محاصرة السيد نادر عظيم فائدة لانه كان يدحرهم شر دحر بما كان يطرد عليهم من قذائف مدافعه . ولهذا رأى الامام من الاوفق له ان يتركه وشأنه ويحاصر البلد محاصرة ضيقة بحيث يبقى السيد نادر وهو في حصنه في بؤرة البلد

ثم ان الشيوخ تفرقوا بجنودهم فسار الشيخ صبر بجنوده الى (سمائم السفلى) وسار الشيخ عيسى الى بلد (سرور) فبايعه أهلها . وسار الامام ومعه الشيخ عبدالله الى سمائم العليا (٤) محاصرين السيد نادراً . ثم انهم لما لم يروا نتيجة لتلك محاصرتهم حفروا سرباً أو نفقاً تحت الارض على بعد ربع ساعة (كذا ولعل في هذه الرواية غلواً عظيما ولا سيما لان الارض هناك ذات حجارة صلبة سوداء تكاد تكون كالحرة) ينتهي الى القلعة ونسفوا بالبارود شيئاً يسيراً من الحصن ولم يصب أحد بضرر لا من المحاصرين ولا من المحاصرين لكنهم أعادوا الكرة وأخذوا ينسفون الحصن للمرة الثانية رجع مفعول البارود على جند الامام وأهلك من قومه نفوساً كثيرة .

اما الشيخ عيسى فانه أوغل في البلاد وبايعه أهلها وما زال يمعن فيها حتى وصل الى بلد (فنكا) فارسل السيد فيصل عليه جيشاً جراراً وضد وصوله الى بلد

« ١ » وهي بلاد فيها قلعة حصينة اذا دخلها الدخيل لا يهتدي الى الخروج منها الا مع دليله يرشده « ٢ » ولاية حصينة هي من أول املاك السيد فيصل « ٣ » يعين والي هذه الولاية بامر من الامام فيصل وابن عمه (٤) سمائم أو سمائل السفلى وسمائم أو سمائل العليا وسرور كلها بلاد واسعة على مسافة يومين الى اربعة ايام من مسقط

(الخوش) رجع على أعقابه وذهب الى بلاد (السيب) بدون ان يرى العدو بل علم ان العدو قد احتل (الخوش) قبل ان يصل اليه وبايعه أهله فتفرق جيش السيد فيصل . ... وأما جيش الامام الذي كان قد احتل (الرستاق) فانه تجاوزه وأمعن في البلاد حتى دخل (الهوابي) وفيها ابناء السيد فيصل وهما حمود وسعيد وهو صاحب السيف (هلال) والي (بركه) فلما رأوا صولة العدو فروا هاربين من القتل فأخذها الامام وأخرج منها العسكر الموجود فيها وامتلك الاسلحة المذخرة هناك وباعها للعشائر .

استمرت هذه المحاربة نحو أربعين يوما . وفي الآخر رأى السيد فيصل أن لاطاقة له على مقابلة العدو فاستنجد بالانكليز فامدوه بست بوارج حربية وبخمسمائة جندي ، وامدوه ان يساعدوه في كل ما يطلب، وان لا يبعدوا في البر أكثر من مسافة ساعة . وقد احتلت الجنود الانكليزية بعض القلاع وأخذوا يقاومون العدو أشد المقاومة وأصبحوا أصحاب الامر والنهي في عمان

ولما قرت قدم الانكليز في مسقط وفي سائر ديار عمان وأصبحوا فيها أصحاب الامر والنهي نشروا فيها أجنحة الامن والراحة والسكون، حتى ان أحد تلك الارجاء كتب الى جريدة الدستور البصرية « ان السكينة قد عادت الى ربوعها بعد ان أخذ الانكليز جميع وسائل الحرب لصد العدو عن مهاجمتها لا بل شرعوا المذاكرة في أمور الصلح بينهم وبين الامام الاباضي » فتبارك مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء . اه بنصه

(المنار) نشر في جرائد مصر والعراق وسورية عدة مقالات في اخبار هذه الفتنة لم نر فيها أوفى من هذه المقالة المختصرة المفيدة . واذا صح ماقاله الراوي من ان الشيخ عبد الله السالمي والشيخ عيسى بن صالح كتبا الى السيد فيصل رحمه الله تعالى بما ذكر ، وانه أجابهما بما ذكر (في ص ٩٤٢) فقد أعذرا اليه ، واللوم عليه أكبر من اللوم على غيره . نعم اننا نعلم انه صار مغلوبا على أمره للانكليز في حاضرة مسقط ، وانه لم يعد يستطيع منع المبشرين الذين هم أصل كل فتنة في كل البلاد التي يحلون فيها فيفسدون على أهلها ديانتهم ويفرقون كلمتهم ، ويمهدون السبل لازالة استقلالهم اذا كان لهم استقلال ولا منع المومسات والمسكرات بدون اذن الانكليز ، ولن يأذنوا بذلك . ولكنه لا ينبغي مع هذا ان يجيب بما قيل إنه أجاب به من الرضا بدعوة المسلمين الى تركه دينهم الحق وإباحة الفجور والفسق ، وعدها من الحرية التي لا يجوز تقييدها ، اذ لا يوجد في

الارض بمملكة تبيح لكل أحد أن يفعل ما يشاء ، غير مراعية استعداد الرعية ، ولا عواقب الامور الادبية والسياسية ، ولا تبيح الاعتقاد الدينية . فالانكليز وهم أعرق الافرنج في الحرية لا يبيحون للكاثوليك ان يظهروا شعائر مذهبهم في مثل عيد الفصح في لندره ، ولا يسمحون للمبشرين من أهل دينهم ومذهبهم ان يدعوا الى النصرانية جهرا في جميع بلاد السودان المصري الانكليزي ، ويقال انه ليس في بلادهم مواخير علنية للبغاء . فهل كان السيد فيصل أوسع من الانكليز حرية وسياسة؟ ام تلك الرواية عنه كاذبة ؟ وإلا فأين الاسلام ؟ وأين العقل والذكاء ؟ انني استبعد جداً ان يكون الغرور بهذه الالفاظ التي يلوكها بيننا الافرنج والمتفرنجون قد وصل حتى بمثل السيد فيصل الى ذلك الحد الذي يدل عليه الجواب الذي عزي اليه ، وعسى أن يكتب الي نجله النجيب صديقي السيد نادر (١) ما هو الحق في هذه المسألة

وقد صرحت المقالة بأن الانكليز قد احتلوا سواحل عمان كلها ، وصاروا اصحاب الامر والنهي فيها ، فاذا صح الخبر فلا بد ان يعملوا كل ذلك باسم سلطان مسقط ، ويسموا عملهم خدمة ومعاونة له ، حتى لاينفر منهم سائر أهل الخليج الفارسي من شيوخ العرب الذين يريدون الاستيلاء على بلادهم مثل (لنجه) و (دبي) بالفتح السلمي ، كاستيلائهم التدريجي على القسم الجنوبي من بلاد ايران . وأهل الشرق قد جُنّوا بالألفاظ فهم يعولون عليها ، ويهتمون بها ما لا يهتمون بالحقائق .

الآن أقول انني لما كنت في ضيافة السيد فيصل منذ سنة ونصف تقريبا ورأيت حال حاضرته مسقط قلت له : اني أتوقع ان ينصب قومك الاباضية إماما لهم ويخرجوا عليك باسم الدين ، فأرى أن تجتهد في تلافي الامر قبل وقوعه ، وتتدارك الفتنة قبل اشتعال نارها ، بأن تجمع كلمة قبائل عمان وتؤلف من شيوخهم مجلس شورى ، وتجعل عاصمة المملكة في الجبل الاخضر ، وتنظم أمور المالية وتقيم العدل الشرعي في داخلية البلاد ، ولا يضرك بعدها العجز عن بعض الامور في حاضرة مسقط لمكان النفوذ الاجنبي فيها . وفصلت له القول في ذلك تفصيلا ، ولكنني فهمت منه انه ليس لديه من الرجال ، من يستطيع القيام بهذه الاعمال ، ومن الغريب أن ما توقعته قد وقع بعد سنة فقط

(١) نادر بالدال المهملة لا المعجمة كما تكرر في مقالة لغة العرب . ونحن اعلم بضبط اسمه لاننا لقيناه وسمعنا والده وأهله يذكرون اسمه ويخاطبونه به ، وبيننا صلة بالمكاتبة